

ظاهرة الفحش

الشيخ محمد صالح المنجد

النبذة: لقد انتشرت ظاهرة اجتماعية سيئة عمت كثيراً من الخلق، وهي متعلقة باللسان الذي هو أسهل الأعضاء حركة، وهذه الظاهرة هي ما نراه من انتشار السب، واللعن، والشتيم، في أوساط المسلمين، واستعمال الألفاظ البذيئة المقذعة، فلا تكاد تدخل في سوق، أو محل، أو تجلس في مجلس من المجالس إلا سمعت من هذا أشياء كثيرة، فضلاً عن الطرقات والمدارس، وغيرها من مجتمعات الناس، وهي ظاهرة خطيرة لا ينبغي التساهل فيها أبداً. خطورة انتشار ظاهرة السب.

طريقة القرآن في الكناية عما يستبشع ذكره.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الكناية عما يستبشع ذكره.

هدي الصحابة في الكناية عما يستبشع ذكره.

انتشار اللعن.

بعض الأحكام المتعلقة بالسب.

الباعث على الفحش.

أهمية الصحبة الصالحة.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سورة آل عمران 102).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (سورة النساء 1).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (سورة الأحزاب 70-71).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

خطورة انتشار ظاهرة السب.

عباد الله:

حديثنا في هذه الخطبة عن ظاهرة اجتماعية سيئة عمت كثيراً من الخلق، وهي متعلقة باللسان الذي هو أسهل الأعضاء حركة، ((وهل يكب الناس في النار على مناخرهم، أو على وجوههم، إلا حصائد ألسنتهم)) [رواه

الترمذي[2616]. وهذه الظاهرة هي ما نراه من انتشار السب، واللعن، والشتيم، في أوساط المسلمين، واستعمال الألفاظ البذيئة المقذعة، فلا تكاد تدخل في سوق، أو محل، أو تجلس في مجلس من المجالس إلا سمعت من هذا أشياء كثيرة، فضلاً عن الطرقات والمدارس، وغيرها من مجتمعات الناس، وهذه الظاهرة؛ ظاهرة السب، والشتيم، واللعن، والبذاءة في الكلام قضية خطيرة لا ينبغي التساهل فيها أبداً، "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً". [رواه البخاري 3559 ومسلم 2321] رواه البخاري ومسلم.

والفحش: ما قبح من القول والفعل، ((وشر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه)) [رواه البخاري 6054 ومسلم 2591]. فترى هؤلاء ينطقون بالأقوال الأثيمة، وأحدهم عينه غمازة، ولسانه لمازة، ونفسه همازة، وحديثه البذاءة، لا يذكر أحداً إلا شتمه، ولا يرى كريماً إلا سبه، وتعرض له بالسوء، والسب، والشتيم، والظعن، والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه، وهو خصوص وخروج عن طاعة الله تعالى.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بالغ في المعيبة يقول: ((ماله ترب جبينه)) [رواه البخاري 6031]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يبغض الفاحش المتفحش)) [رواه ابن حبان 5694]، وقال: ((إن الله لا يحب كل فاحش متفحش)) [رواه أحمد 21765]، وهذه أوصاف تنطبق على كثير من الناس غالب أحاديثهم ألفاظ شنيعة مستبشعة، يأتون بها من الأماكن القذرة، وحديثهم من المراحض، وفي العورات، وأسماء الدواب والبهائم على ألسنتهم، واللعن جار عليها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوق)) [رواه البخاري 48] يخرج عن طاعة الله تعالى، وقال: ((سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة)) [رواه البزار صحيح الجامع الصغير 3586]، وقال: ((المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان)) [رواه أحمد 17487]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أرأيت الربا شتم الأعراض)) [رواه معمر بن راشد 20252].

((أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا)). الحدِيث، وفي آخره ((فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته حتى إذا فئيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار)) [رواه الترمذي 2418]. إذن عقوبة السب، والشتيمة، والظعن، واللعن، والفحش في القول هذه هي يوم القيامة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم موصياً أحد الصحابة: ((اتق الله)) ثم قال له: ((وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبب أحداً)) [رواه أبو داود 4084].

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض من عائشة فعلاً معيناً كان في عداة الدين، فقد استأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، وكانوا يعنون بذلك الموت، أو يقولون: السلام عليك، يعني الحجارة، فقالت عائشة رضي الله عنها وقد فطنت لما قالوا، وكانت نبهة ذكية، قالت: وعليكم السام واللعنة، وفي رواية: عليكم السام ولعنة الله وغضب الله عليكم. وفي رواية: عليكم السام والذام، يعني الموت والذم، هذه الكلمات التي تلفظت بها في حق هؤلاء اليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المرابي لزوجته: ((يا عائشة لا تكويني فاحشة))، وفي رواية: ((مه يا عائشة، مه يا عائشة، فإن الله عز وجل لا يحب

الفحش والنفحش)) [رواه مسلم 11]، قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: ((قد قلت: وعليكم)). رد بكلمة واحدة ليس فيها فحش وشفحش، وقال: ((أوليس قد رددت عليهم الذي قالوا؟)) [رواه مسلم 2165]، هذا لكلامها رضي الله عنها في هؤلاء.

فإذن الله ورسوله قد نهيا عن الفحش، ولا يريد الشارع أن يتوعد لسان المسلم السب، والشتيمة، واللعنة مطلقاً. **طريقة القرآن في الكناية عما يستبشع ذكره.**

وتأمل طريقة القرآن في الكناية عما يستبشع ذكره، ويستحيا منه، ألم ترى أن الله كنى عن الجماع باللامسة، والمباشرة، والإفضاء، والرفث، والسر، قال ابن عباس: المباشرة: الجماع ولكن الله يكتفي أو يكتفي. وقد قال أيضاً: إن الله كريم يكتفي ما شاء، وإن الرفث هو الجماع.

ولذلك قال العلماء: من أسباب الكناية في القرآن أن يذكر بالكناية ما يفحش ذكره في السمع، فيكتفي عنه بما لا ينبو عنه الطبع، وقد قال الله تعالى: **{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}** (سورة الفرقان 72).

ومما قيل في تفسيرها: أي كنوا عن لفظه، ولم يوردوه على صيغته، وقد قال تعالى: **{وَلَكِنَّ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}** (سورة البقرة 235)، فكفى عن الجماع بالسر.

وقال: **{فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ}** (سورة البقرة 187) فكفى عن الجماع بالمباشرة لما فيها من التقاء البشريتين.

وقال: **{أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}** (سورة النساء 43) بدلاً من الجماع، إذ لا يخلو الجماع من ملامسة، وكفى كذلك بقوله: **{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}** (سورة البقرة 187)، واللباس من الملابس وهي الاختلاط الحاصل عند الجماع.

وكذلك قال في آيات أخرى: **{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}** (سورة البقرة 223)، فكفى عنها بالحَرْث، وقال تعالى في قصة امرأة العزيز: **{وَرَأَوْدَتْهُ النَّيُّ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ}** (سورة يوسف 23) فطلبت ما تطلب المرأة من الرجل فعبر عن ذلك بالمرادة.

وقال أيضاً في الجماع: **{فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ}** (سورة الأعراف 189).

وكفى عما يخرج من الإنسان من الفضلة في قصة مريم وابنها، **{كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}** (سورة المائدة 75) قال بعض أهل العلم بالتفسير: أراد أيضاً مع الأكل البول والغائط، فأخبر بالمسبب، إذ لا بد للأكل من البول والغائط، لكن لما كان مما يستقبح كنى عنه بذلك، وأراد أن يقول: إن مريم وابنها يأكلان الطعام ويخرجان الفضلات ولا يمكن لأحدهما أن يكون الله، أيكون إله؟! فإن الله تعالى متره عن ذلك.

وقال عز وجل: **{أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}** (سورة المائدة 6)، والمقصود بالغائط معروف قسيم البول، ما يخرج من الإنسان من فضلة، ولكن قال: الغائط، وهو المكان المنخفض من الأرض؛ لأن العرب كانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى مكان منخفض من الأرض حتى إذا نزل أحدهم فيه ليقضي حاجته لا يرى، فكفى عنه بالغائط، فانظر إلى لطيف اللفظ وكيف يعلمنا القرآن الأدب، كيف يعلمنا الله الأدب في كتابه.

وقال: **{وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}** (سورة المتحنة 12)، ومعلوم ماذا يوجد بين أرجلهن، فالكناية عن الزنا، وكفى عن الإست بالدبر، فقال: **{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}** (سورة محمد 27).

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الكناية عما يستبشع ذكره.

أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان في غاية الأدب وهو يتحدث بتلك الأحاديث مما يعلم منه سلامة لسانه صلى الله عليه وسلم وعفته عليه الصلاة والسلام، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال: **((خذي فرصة من مسك فتطهري بها))**، قطعة من القطن، أو الصوف قد أصابها المسك لتطيب المكان بالرائحة الطيبة، فالمرأة قالت: كيف أتطهر؟ قال: **((تطهري بها))**، قالت: كيف؟ قال: **((سبحان الله تطهري))** [رواه البخاري 314].

وفي رواية قالت أم المؤمنين: فاستحيا النبي صلى الله عليه وسلم فعلمت ما أراد، قالت: فاجتذمها إليّ فقلت: تتبعي بها أثر الدم، طهري واغسلي ونظفي مكان الدم من الداخل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **((سبحان الله تطهري بها))** [رواه البخاري 314] ولم يزد على ذلك، وكان عليه الصلاة والسلام حياً، أشد حياءً من العذراء في خدرها.

ولما أراد أن يعلم الأمة متى يجب الغسل قال: **((إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل))** [رواه الترمذي 108]، وفي رواية **((إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل))** [رواه مالك 143].

وقال صلى الله عليه وسلم لما سألته امرأة عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها من غسل؟ فقال: **((نعم، إذا رأت الماء))** [رواه البخاري 130]، وقال: **((الماء من الماء))**، فسمى ما يخرج من الرجل عند الجنابة ماء، وقال باللفظ اللطيف **((الماء من الماء))** [رواه مسلم 343].

غسل الجنابة ماؤه واجب من الماء الذي يخرج، وكذلك إذا مس الختان الختان، هل تراه ذكر أسماء العورات كما يذكرها الناس اليوم، التي يعبرون عنها بأبشع الألفاظ، وأسوأ العبارات يقولونها، وهذا نبههم صلى الله عليه وسلم بهذا العفاف، والطهر، ولكنهم لا يتعلمون منه، وترى المجالس يذكر فيها من أشنع الألفاظ وأسوأ العبارات مما يחדش الحياء، ويذهب المروءة، والناس ساكتون، ومنهم من يضحك، ويشارك، والنكات القذرة لا تخفى عليكم مما يذكر فيه كثير من هذا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((إنما أنا لكم بمزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب يمينه))**. [رواه أبو داود 8] رواه أبو داود، والنسائي، وهو حديث صحيح.

قال ابن الأثير رحمه الله: الاستطابة الاستنجاء؛ لأن الرجل يطيب نفسه بالاستنجاء من الخبث، والاستنجاء: إزالة أثر النجوة وهو الغائط، وهكذا إذن كان صلى الله عليه وسلم يقول.

هدي الصحابة في الكناية عما يستبشع ذكره. 15:21

ولما نقل الصحابة الكلام والفعل والحركة كانوا في غاية العفاف، ففي رواية أبي داود وهو حديث صحيح يقول أبو قتادة واصفاً صلته صلى الله عليه وسلم، **((فإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى وجلس على مقعدته))** [رواه البخاري 828]، فكنى واستخدم لفظ المقعدة فيما هو معلوم، وحتى عندما كانت الاستفتاءات تأتي إلى

النبي صلى الله بعاية الأءب؁ يقول: وقعت على أهلي؁ أو وقعت على امرأتي في رمضان أو ونحو ذلك؁ ولا يفحشون؁ ولا يقولون من الفحش من القول أبءاً؁ كيف وهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة جالسة عنءه؁ وعنءها أبو بكر فقالت: يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني فيت طلاقي - يعني بالثلاث - فتزوجت بعءه عبد الرحمن بن الزبير؁ وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهءبة؁ وأخذت هءبة من جلبابها تريد أنه ضعيف لا يستطيع الوقاع والجماع؁ فكنت بهذه الكناية اللطيفة؁ ما معه إلا مثل هذه الهءبة؁ فلم تسم شيئاً من العورة؁ ولم تذكر شيئاً قبيحاً؁ ومع ذلك كان خالد بن سعيد بالباب لم يؤذن له؁ فقال: يا أبا بكر ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؁ والنبي صلى الله عليه وسلم لا يزيد على التيسم؛ لأن من حق المرأة أن تستفتي؁ وأن تشتكي؁ ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((لعلك تريدن أن ترجعي إلى رفاعة؟)) يعني الزوج الأول ((لا؁ حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته)) [رواه البخاري 2639]؁ وهي كلمة فيها معنى اللذة وهي إشارة إلى وجوب الوطاء في النكاح الثاني حتى إذا طلقها عادت للأول؁ فانظر إلى عفافه صلى الله عليه وسلم؁ وقارن بينه وبين ما يتلفظ به كثير من الناس في هذه الأيام.

وقء جاء رجل إلى عائشة رضي الله عنه وهو عبد الله بن شهاب الخولاني كما في صحيح مسلم؁ فقال: فترلت عنءها؁ نام ضيفاً؁ فقال: احتلمت في ثوبي فغمستهما في الماء؁ فرأيتني جارية لعائشة فأخبرتها؁ فبعثت إليّ عائشة فقالت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: كنت رأيت ما يرى النائم في منامه. لاحظ الأءب في العبارة؁ رأيت ما يرى النائم في منامه؁ والنائم يرى أشياء كثيرة؁ لكن هي إشارة إلى شيء معين؁ رأيت ما يرى النائم في منامه؁ يعني حصلت الجنابة؁ قالت: "هل رأيت فيهما شيئاً؟" قلت: لا؁ قالت: "فلو رأيت شيئاً غسلته؁ لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابساً بظفري". [رواه مسلم 290].

لقد عبر الصحابة عن التبول بإراقة الماء؁ وإهراق الماء؁ وكان أحءهم يقول: أصابتني جنابة؁ وكان يقال في الحديث: حصل بعض ما يكون بين الرجل وامرأته؁ ومعلوم ماذا يكون؁ ومع ذلك فإنهم كانوا يستخدمون الألفاظ المؤءبة النظيفة في الكلام والخطاب.

وحتى ما يحدث بين الرجل وامرأته لا يجوز الحديث به؁ مع أنها حلال عليه؁ لقد روى الإمام أحمد رحمه الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله؁ ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها)). فأرم القوم؁ يعني سكتوا؁ قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تفعلوا؁ فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون)) [رواه الطبراني في الكبير 414]؁ هذا إذا حدث بالحلال الذي بينه وبين زوجته؁ فانظر الآن إلى ما يقولون بالحرام؁ وماذا فعلوا في الإجازة الماضية من المنكرات والكبائر؁ وهم يتفوهون به.

فإذن هذه الألفاظ المستبشعة المستشعنة؁ وما يكون بين الرجل وزوجته لا يجوز الحديث به أمام الناس من باب الأءب؁ الشريعة تعلم الأءب؁ تعلم العفاف في اللسان.

انتشار اللعن.

وكذلك من المصائب المنتشرة اليوم فيما يتعلق بهذا انتشار اللعن، اللعن: وهو الطرد والإبعاد عن الله تعالى، اللعن منتشر كثيراً على السنة الناس، أخرج البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((لعن المؤمن كقتله))** [رواه أحمد 16385].

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: **((لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً))** [رواه مسلم 2597].
قال العلماء: يحرم لعن إنسان بعينه أو دابة.

وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تقبض إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإن لم تجد مساعاً))** ما وجدت مسلماً ولا أحداً يستحقها، **((فإن لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها))** [رواه أبو داود 4905]. إذا كان الملعون يستحق، ظالم ونحو ذلك وقعت اللعنة، أو كان ممن لعنه الله تعالى أو رسوله، أو كان لعن الجنس، لعن الله اليهود والنصارى. أو لعن الفاسقين والمتبرجات، أو لعن النامصات والمنتصات ونحو ذلك مما يجوز لعنه على وجه العموم وإلا رجعت على صاحبها. حتى الدواب حتى البهائم حتى الجمادات لا يجوز لعنها.

أخرج مسلم عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت المرأة من الناقة فلعننها، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **((خذوا ما عليها))** يعني: من المتاع، **((ودعوها فإنها ملعونه))** [رواه مسلم 2595] لا يمكن أن يصحبنا ملعون في السفر، قال عمران: فإني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد، الدابة مهملة ولا أحد اقترب منها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((دعوها))** فتركوها. فإذا هن هكذا عقوبة تعزيرية لللعن.
((لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)) [رواه مسلم 2598]. حديث صحيح.

إذن أيها المسلمون هذا اللعن المنتشر حرام في حرام، هذا اللعن المنتشر يرجع على قائله في العموم والغالب، وحتى قضية السباب والشتم، إذا جاوز الإنسان المسبوب والمشتوم فإنه يأثم، **{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ}** (سورة النساء 148)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أن إثم السب والشتم على البادئ إلا أن يتعدى المظلوم فيسب ويشتم بأكثر مما حصل، وإن ترك السب والشتم حتى لو كان مظلوماً فهو أحسن وأطيب.

ولذلك ينبغي الامتناع والكف عن ذلك والصحابة ضربوا المثل العظيم في هذا، فعن جابر بن سليم قال: قلت: اعهد إلي يا رسول الله، أوصني، اعهد إلي، قال: **((لا تسبن أحداً))** قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة. [رواه أبو داود 4084] أخرجه أبو داود بإسناد حسن.
ما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة.

كم بين هذا وبين ما يحدث الآن من السب، والشتم، واللعن في المجالس، والهواتف، والدكاكين، والمحلات، ومجتمعات الناس، ظاهرة سيئة، ويسب الرجل زوجته ويلعن أولاده وحتى أقرب الناس إليه. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهر ألسنتنا وقلوبنا، اللهم إنا نسألك العفة والعفاف، اللهم إنا نسألك العفة والعفاف، استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا يا رب العالمين. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وأوسعوا وافسحوا لإخوانكم يفسح الله لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وذريته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه وأنصاره والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

بعض الأحكام المتعلقة بالسب.

عباد الله:

إن التعود على السب والشتم عادة قبيحة جداً، وقد توقع والعياذ بالله في الكفر كما إذا سب الله تعالى أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الملائكة.

ومن السب ما يحكم بكفر صاحبه، ومنه ما يوجب الحد كما إذا قذف بالزنا، لو قال: أنت أزنى من فلان عليه حدان؛ لأنه قذف رجلين، وبعض ذلك يقتضي التعزير، وقد اتفق الفقهاء على أن من سب ملة الإسلام، أو دين المسلمين يكون كافراً، وكذلك نهي الشارع عن سب الدهر، فقال: ((لا تسبوا الدهر)) [رواه مسلم 2246]؛ لأن سب الدهر يعود على خالق الدهر وهو الله تعالى إذ أن الدهر لا ذنب له.

وتأمل في سب الناس اليوم للساعة والأيام والسنين، وأما سب الأموات بغير مصلحة شرعية فمنهي عنه وهو يفضي إلى إيذاء الأحياء.

وأما أقوال العلماء في السب في هذه الألفاظ المنتشرة فإن بعض أهل العلم قد ذكروا: أنه إذا سبه سباً لا يصل إلى القذف بالزنا فإنه يعزر، يعزر بالجلدات المناسبة أو بما يراه القاضي لدرء ذلك، وذكر العلماء رحمهم الله في كتبهم أمثلة لمن سب شخصاً بألفاظ مقذعة أو قال: يا فاسق، أو يا فاجر، أو ديوث، ونحو ذلك، فإنه يعزر تعزيراً رادعاً ينهيه وينهى مثله، وكذلك إذا شتمه ببعض أسماء البهائم، فإن بعض أهل العلم قد ذكروا أيضاً أنه يعزر في ذلك.

وأما النطق بألفاظ الخنا في الملاء مما يستبشع، فإنه يسقط مروءة الإنسان، حتى قال بعضهم: لا تقبل شهادته.

قال ابن همام رحمه الله: إظهار الشتيمة مجون وسفه، ولا يأتي به إلا أوضاع وأسقاط.

وهناك بعض الحالات التي يجوز فيها الجهر بالسب والشتم، كما إذا سب آلهة الكفار لإغاثتهم دون أن يكون هناك منكر أكبر من ذلك يترتب عليه؛ ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للمشرك: امص بظر اللات.

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من تعزى بعزاء الجاهلية)) يعني تعصب العصبية الجاهلية ((فأعضوه **بني أبيه ولا تكنوا**)) [رواه النسائي في الكبرى 8813]. لا تكنوا وإنما قولوها بالصراحة، بصرحة اللفظ من باب زجره، والمراد ببني أبيه أي: ذكر أبيه، يقال له ذلك: اعضضه، إذا تعزى بعزاء الجاهلية.

وكذلك في استنطاق القاضي للمعترف بالزنا، كما قال الصحابي في كلمة النبي صلى الله عليه وسلم لما عز، ثم قال الصحابي: ولا يكتفي؛ لأجل الحاجة لأن المسألة فيها إزهاق روحه وقتله، فلا بد من استنطاقه باللفظ الصريح. وكذلك قال النووي رحمه الله: يجوز للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك الأمر ممن فعل شيئاً سيئاً ويملك أو يا ضعيف الحال، أو يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، وما أشبه ذلك بحيث يؤديه بمثل هذا. وهذه حاجة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الباعث على الفحش.

والحاصل أيها الإخوة أن الباعث على الفحش إما أن يكون قصد إيذاء الناس، أو العادة التي جرت بفعل مخالطة أهل الفسق، واللؤم، والخبث، فإن الاعتياد في مخالطة الفساق يسبب تكرار مجالستهم والاستماع إليهم التعود على ألفاظهم، وزوال شناعتها من النفس، والتلفظ بها في تقليدهم والافتداء بهم.

وما فعلته الأفلام المهابطة في القصص السيئة الماجنة، والأفلام المنحطة ما فعلته في نشر السباب، والشتائم، والألفاظ الشنيعة، وإزالة الحياء، والكلام في العورات، والكلام في الرفث والجماع، ونحو ذلك أمر عظيم جداً، وأثره في الأجيال واضح للغاية، وأصحاب السوء والناس في الشوارع الذين يتعلم منهم بقية الأولاد الصغار السباب، والشتائم، أمر واضح جداً، لقد أقيمت في بعض الأماكن مسابقة بعنوان (أبو عيون جريئة) يكون الفائز فيها أوقح الشبان، وأقلهم حياءً وأدباً، فتصور ذلك في مجتمع من مجتمعات المسلمين، إلى هذه الدرجة، من أوقح وأشد شناعة في لفظه هو الذي ينال الجائزة، فهذه الأشياء التي تنشر الفحش ينبغي بترها وقطع دابرها، وينبغي على الآباء أن يصونوا أولادهم عن مرافقة أهل السوء.

أهمية الصحبة الصالحة.

ونحن الآن في بداية عام دراسي جديد، هل ذهبت يا أيها الأب إلى المدرسة وتفرست في وجوه الطلاب الذين يدرسون مع ولدك في الفصل الدراسي الذي هو فيه، فانتقيت له عدداً من الأخيار، ولو قلوا، وقلت له: هؤلاء الزمهم ولا تتعداهم، وتسمح له بأن يزورهم ويزوروه. هذه مسؤوليتك، ليست المسؤولية فقط شراء الكراريس والأقلام والدفاتر، والمساعدة لتلبية احتياجات المدرسة، وإنما الأهم من ذلك مراقبة الولد، من هم أصحابه، من هم الذين يماشيهم ويحتك بهم، فإنهم مصدر أخلاقه ومنبع عاداته؛ ولذلك مسؤولية الأب مسؤولية عظيمة، وكل واحد من الراشدين البالغين مسؤول عن نفسه في أصحابه الذين يماشيهم ويصادقهم، فإن صاحب الفحاشين صار فحاشاً، وإن صاحب النمامين المغتابين صار كذلك، وهكذا أيها الإخوة.

ولنذكر إخواننا في مطلع هذا العام الدراسي بالاعتناء بتربية أبنائهم، وعدم الاكتفاء بذهابهم إلى المدرسة، ونذكر المدرسين بمسؤوليتهم في التربية قبل التعليم، إذ أن هناك فرقاً بين التربية والتعليم، فليست القضية نقل المعلومات،

وإنما تأديب الطلاب وتربيتهم على المنهج الإسلامي، وكذلك نذكر بالفقراء والضعفاء ممن يحتاجون إلى الصدقات حتى في شراء لوازم المدرسة، وقد أفتى أهل العلم بجواز دفع الزكاة لنفقة الدراسة للطالب الفقير؛ لأنها صارت حاجة في هذه الأيام، لا تنال شهادة أو وظيفة في الغالب إلا بها، بل حتى الزواج؛ ولذلك يجوز دفع الزكاة فيها ما لم يكن فيها شر أو إثم أو معصية.

وكذلك أيها الإخوة الشفاعة لمن يحتاج الشفاعة في قبول ولده في المدرسة، ونحو ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((اشفعوا توجروا)) [رواه البخاري 1432]، ونحو ذلك ممن يستحق من المسلمين.

نسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا في طاعته، وأن يوفقنا إلى مرضاته، اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفة والعفاف، اللهم ارزقنا الطهر والصدق يا رب العالمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين وافتح لهم بلاد الكفار والمشركين، اللهم عجل بنصرهم، اللهم رد إلينا القدس الشريف، وأخرج اليهود منه أذلة صاغرين، عليك بهم يا رب العالمين، وبسائر أعداء الدين، أرغم أنوفهم، وأفشل خططهم واجعل مكرهم تدميراً لهم يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك الأمن في البلاد، اللهم إنا نسألك الأمن في البلاد، والصلاح للعباد، اللهم إنا نسألك الأمن في الأوطان والدور، آمنا في أوطاننا ودورنا، اللهم آمنا في الأوطان والدور، وأرشد الأئمة وولاة الأمور، وارحمنا يا رحيم يا غفور.

إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون. وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.